

جهود علماء المغاربة ومناهجهم في نشر قراءة الإمام نافع المدني نظمي
البارع والدّرر اللّوامع نموذجاً
(دراسة استقرائية وصفية)

د. التّور رزق إبراهيم إسماعيل
الأستاذ المساعد في تخصص القراءات
وعلم القرآن بكلية القرآن الكريم

يعني هذا البحث بجهود علماء المغرب الإسلامي ومناهجهم في توثيق قراءة الإمام نافع المدني؛ ذلك أنّ جهود المغاربة في توطيد هذه القراءة في بلاد المغرب وشمال أفريقيا كثيرة وثرة، توزّعت بين النثر وشعر الرجز، واخترت في هذا البحث نموذجين من أشهر المنظومات في قراءة نافع عند المغاربة هما: (نظم البارع) لابن آجروم ونظم (الدّر اللّوامع) لابن بري جاءت الدراسة في مقدّمة وتمهيد وثلاثة مباحث اشتملت المقدّمة على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث والدراسات السابقة ومنهج البحث، وتمهيد عرفت فيه القراءات والفرق بينها والزّوايات والطّرق. تناول البحث التعريف بالإمام نافع وسند قراءته وتعريف راوييه وتعريف الإمامين ابن آجروم وابن بري ونظميهما البارع والدّر اللّوامع وقيمتيهما العلميّة.

وختتمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج ومنها:

1. إن أول القراءات دخولا إلى بلاد المغرب هي قراءة الإمام ابن عامر الشامي ثم قراءة حمزة ثم قراءة الإمام نافع.

2. استقرار المغاربة على قراءة نافع آخذين بقراءة أهل المدينة ومذهب أهل المدينة في الفقه.

3. أهل المغرب متقدمون على غيرهم في خدمة ونشر قراءة نافع المدني من رواية قالون، ورواية ورش.

4. نظم الدرر اللّوامع هو أشهر نظم عند المغاربة في قراءة الإمام نافع المدني.

وأوصى البحث بأهميّة جمع التراث المغربي في القراءات وعلوم القرآن كما أوصى بشرح نظم ابن آجروم (البارع في قراءة الإمام نافع).

مقدّمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وإمام المتقين، نبينا محمد ﷺ،
وبارك وعظم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإنَّ أفضل ما تنفَى فيه الأعمار ويبدل فيه الأوقات خدمة القرآن الكريم وعلومه فهو
أفضل ما تقرب وتعبد به الإنسان، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ
الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (9) [الإسراء: 9].

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (32) قَدْ تَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزَنَكَ الَّذِي
يَقُولُونَ فَابْهَمُوا لَا يُكَذِّبُوكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِلَايَاتِ اللَّهِ يَحْجُدُونَ (33) ﴿[فاطر: 32-33].

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: "خيركم من تعلّم القرآن وعلمه" (1).
وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إنَّ الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً
ويضع به آخرين" (2).

وجهود العلماء في خدمة القرآن قديماً وحديثاً واضحة وبيّنة، كلٌّ يخدم القرآن في ما يسّر الله
له، ومن بين هذه الجهود ما بذله علماء المغاربة ويبدّلونه في خدمة القراءات وعلوم القرآن
بصفة عامة وقراءة الإمام نافع بصفة خاصة، ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث في قراءة
الإمام نافع المدني واخترت أن يكون عنوانه: (جهود علماء المغاربة ومناهجهم في نشر قراءة
الإمام نافع المدني نظماً البارع والدرر اللوامع نموذجاً). (دراسة استقرائية وصفية).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- 1/ أهمية القراءات بوصفها قرآناً أفضل ما يبحث فيه وفي علومه.
- 2/ أهمية قراءة الإمام نافع وأسباب انتشارها في المغرب الإسلامي وشمال أفريقيا.

(1) رواه البخاري في فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، 66/9.

(2) رواه مسلم في كتاب المسافرين فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه: ح رقم 867.

3/ جهود علماء المغرب الواضحة في نشر قراءة الإمام نافع بروايتها رواية قالون، ورواية ورش تستحقّ البحث والدّراسة.

4/ الميل والرغبة في الإطلاع على المنظومات والأراجيز عند المغاربة في القراءات وعلوم القرآن.

أهداف البحث:

1/ معرفة أسباب اختيار المغاربة قراءة الإمام نافع.

2/ التعريف بإمامين عظيمين لهما أثر كبير في نشر قراءة الإمام نافع، وعلوم القرآن في المغرب الإسلامي.

3/ التعريف بنظم البارع لابن آجروم ونظم الدّرر اللّوامع لابن بري وتأثير المغاربة بهما في أخذ قراءة الإمام نافع المدني.

الدّراسات السابقة:

الدّراسات السّابقة في قراءة الإمام نافع كثيرة ولكن حسب اطلاعي ما وجدت من أفرد هذين النظمين بدراسة بهذا العنوان.

منهج الدّراسة:

1/ اتّبع في هذا البحث المنهج الاستقرائي الوصفي.

2/ تتبّعت جهود علماء المغرب من خلال نظمي البارع والدّرر اللّوامع في نشر قراءة الإمام نافع.

3/ تتبّعت تاريخ القراءات في بلاد المغرب وبداية دخول قراءة الإمام نافع لبلاد المغرب.

4/ عرّفت الإمام ابن آجروم ونظمه البارع ومنهجه فيه وقيّمته العلميّة.

5/ عرّفت الإمام ابن بري ونظمه الدّرر اللّوامع ومنهجه فيه وقيّمته العلميّة.

6/ أوردت بعض الشّواهد من النظمين بغرض التوضيح والشرح.

هيكـل البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث تحت كل مبحث مطلبان.
المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث والدراسات السابقة ومنهج البحث.

التمهيد: عرفت فيه القراءات والفرق بينها وبين الروايات والطرق وذكرت فيه تاريخ دخول القرآن والقراءات إلى بلاد المغرب وشمال أفريقيا وأسباب اختيار المغاربة قراءة الإمام نافع.

يتكون البحث من ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: تعريف الإمام نافع وسند قراءته وتعريف روايته

المطلب الأول: تعريف الإمام نافع وسند قراءته

المطلب الثاني: تعريف روايته قالون وورش

المبحث الثاني: تعريف الإمام أبي عبدالله محمد بن آجروم وتعريف نظمه البارع ومنهجه فيه وقيّمته العلميّة

المطلب الأول: تعريف الإمام أبي عبدالله محمد بن آجروم

المطلب الثاني: تعريف نظمه البارع ومنهجه فيه وقيّمته العلميّة

المبحث الثالث: تعريف الإمام أبي الحسن علي بن بري ونظمه الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع ومنهجه فيه وقيّمته العلميّة

المطلب الأول: تعريف الإمام أبي الحسن علي بن بري

المطلب الثاني: تعريف نظم الدرر اللوامع في أصل مقرأ

الإمام نافع ومنهجه فيه وقيّمته العلميّة.

● الخاتمة:

وفيه أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد:

تعريف القراءات والفرق بين القراءات والروايات والطرق وذكر تاريخ دخول القرآن والقراءات إلى بلاد المغرب وشمال أفريقيا وأسباب اختيار المغاربة قراءة الإمام نافع المدني. أولاً: تعريف القراءات والفرق بينها وبين الروايات والطرق.

القراءات لغة: جمع قراءة وهي مأخوذة من قرأ يقرأ قراءة، وأصل هذه اللفظ معناه الجمع والضم وسمي القرآن قرأناً لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد، والآيات والسور بعضها إلى بعض⁽¹⁾.

واصطلاحاً: هو علم يعرف به كيفية أداء الكلمات القرآنية واختلافها معزواً لنقله⁽²⁾، أو هو علم يعرف فيه إتقان الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في أحوال النطق من حيث السماع⁽³⁾.

أما الفرق بين القراءات والرواية والطريق فهذا مما اصطلاح عليه علماء القراءات؛ وذلك أنهم جعلوا كل خلاف ينسب إلى إمام من الأئمة العشرة مما أجمع عليه الرواة والطرق عنه يسمى قراءة، وكل خلاف ينسب إلى الراوي عن الإمام ولو بواسطة يسمى رواية، وكل خلاف ينسب إلى الآخذ عن الراوي وإن سفل فهو طريق، مثال ذلك إثبات البسملة بين

(1) لسان العرب جمال الدين بن منظور، دار صادر بيروت، لبنان، باب الهمة فصل القاف، 128/2.

(2) النشر في القراءات العشر، شمس الدين محمد بن الجذري، دار الفكر، 200/2.

(3) إرشاد المرید إلى مقصود القصید/ علی محمد الضباع، مكتبة الموريط، 1432هـ/2011م، ص7.

السورتين قراءة ابن كثير المكي، ورواية قالون عن نافع، وطريق الأصبهاني عن ورش عن نافع⁽¹⁾.

ثانياً: دخول القرآن والقراءات إلى بلاد المغرب وشمال أفريقيا.

تثبت الحقائق التاريخية أن دخول القرآن والقراءات إلى بلاد المغرب جاء مع بداية دخول الإسلام إلى تلك البلاد على يد الفاتح العظيم عقبة بن نافع سنة (62هـ) وانتشر القرآن والقراءات على يد الدعاة الذين أرسلهم الخليفة عمر بن عبدالعزيز، وفي مقدّمتهم إسماعيل بن عبدالله بن أبي المهاجر الذي أسلم على يده عامّة أهل البربر أوّل القراءات دخولاً إلى بلاد المغرب الإسلامي وشمال أفريقيا هي قراءة الإمام عبدالله بن عامر الشامي⁽²⁾، واستقرّ المغاربة والأندلسيون على رواية هشام⁽²⁾ عن ابن عامر الشامي ثم على رأس المائة الثانية ظهرت في القيروان قراءة حمزة⁽³⁾ بن حبيب الزيّات الكوفي، على يد القراء القادمين من بغداد والكوفة مع الولاة العباسيين، ولم يكن يقرأ لنافع إلا خواصّ الناس⁽⁴⁾.

أما دخول قراءة نافع إلى بلاد المغرب فتذكر المصادر أنّ أشهر من أدخل هذه القراءة هو أبو محمد الغازي بن قيس القرطبي رحل من قرطبة في منتصف القرن الثاني الهجري، في فترة إمارة عبدالرحمن الدّاخل المعروف بصقر قريش، فأقام بالمدينة المنورة مدّة قرأ

(1) النشر: 200/2.

(2) عبدالله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر اليحصبي أبو عمران، أحد القراء السبعة إمام أهل الشام وقاضيهام الناس بالجامع الأموي في خلافة عمر بن عبدالعزيز وبعده ولد سنة (21هـ) وتوفى بدمشق سنة (118هـ). معرفة القراء الكبار للذهبي: ط القاهرة: 67/1، النشر: 144/1.

(3) هو حمزة بن حبيب بن عامر بن إسماعيل الكوفي التميمي وكنيته أبو عمار، وهو الإمام شيخ القراء أحد القراء السبعة ويعرف بالزيّات لأنه كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان، ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة ولد سنة (80هـ) وتوفى سنة (156هـ)، معرفة القراء الكبار: 115/1.

(4) غاية النهاية لابن الجذري، 217/2.

فيها على نافع قراءته وعرض عليه مصحفه وأخذ عن مالك مذهبه وقرأ عليه الموطأ، وانصرف للأندلس بعلم غزير نفع الله به أهلها⁽¹⁾.

ثم بعد موت الإمام نافع سنة (169هـ)، وموت الإمام مالك سنة (179هـ) تحوّل الناس إلى أخذ رواية ورش عثمان بن سعيد، وأخذ الفقه المالكي من مصر وتوالى الرحلات المغربية إلى مصر. يقول ابن الجزري: وانتدب الناس لتأليف الكتب في القراءات بحسب ما وصل إليهم وصحّ لديهم؛ كلّ ذلك ولم يكن بالأندلس ولا بلاد المغرب شيء من هذه القراءات إلى آخر المائة الرابعة فرحل منهم من روى القراءات بمصر ودخل بها وكان أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي مؤلف الروضة أوّل من أدخل القراءات إلى الأندلس، وتوفى سنة (427هـ) ثم تبعه أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي مؤلف التّبصرة والكشف وغيره، وتوفى سنة (437هـ) ثم الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الدّاني مؤلف التّيسير وجامع البيان وغير ذلك، توفى سنة (444هـ)⁽²⁾ وفي هذه الرواية الأخيرة يخالف ابن الجزري ما ذكره في طبقاته بأن الغازي بن قيس هو أوّل من أدخل قراءة نافع إلى المغرب.

ويذكر المغربي في نفع الطيب أن أبي عبد الله محمد بن خيرون الأندلسي المتوفى سنة (306هـ) هو أوّل من قدم بقراءة نافع إلى أفريقيا، وكان الغالب على قراءتهم حرف حمزة، ولم يكن يقرأ بحرف نافع إلا الخواصّ⁽³⁾ وفي جملة إلا الخواصّ يفهم أن ابن خيرون لم يكن هو السابق في هذا الشأن ويتّرجح عندي من خلال هذه الروايات أن الغازي بن قيس

(1) غاية النهاية لابن الجزري 2/2، وانظر ترتيب المدارك للقاضي عياض: 114/3، وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي، المملكة المغربية وزارة الشؤون الإسلامية: 114/3.

(2) النشر: 348.

(3) أنظر نفع الطيب من غسن الأندلس الرطب للمغربي: 66/65/2، وأنظر القراء والقراءات بالمغرب لسعيد أعراب، ص13.

هو السابق في إدخال قراءة نافع إلى المغرب الإسلامي ثم أشهر القراءة من جاء بعده خاصّة أنّهم جاءوا في عصر ظهر فيه التّأليف لمؤلّفين كبار مثل مكّي بن أبي طالب القيسي، وأبو عمرو الدّاني وغيرهم.

ثالثاً: أسباب اختيار المغاربة قراءة الإمام نافع المدني:

يمكن إرجاع اختيار المغاربة لهذه القراءة للأسباب والعوامل التالية:

1/ قراءة نافع هي قراءة أهل المدينة المنورة وبها قرأ الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة عن الإمام نافع، وقال مالك: قراءة نافع سنّة⁽¹⁾ ولذلك عظم ميل أهل المغرب المالكيين إليها، وأكثر علماؤهم فيها من التّصانيف، وألّفوا قواعدها وأحكامها (2).

2/ لمكانة المدينة بوصفها دار هجرة النبي ﷺ ومستقرّه أحبّ النّاس أهلها، وموضع الإمام نافع قارئ المدينة في مقدمة القراء، وقراءته كذلك في جميع التصانيف المشهورة من سبعة ابن مجاهد، وما جاء بعدها من التيسير والشّاطبية ومؤلفات ابن الجزري وغيرها؛ هذا ما جعل المغاربة يقدّمون هذه القراءة ويتميّزون بها لهذا الفضل.

3/ انتشرت قراءة الإمام نافع المدني من رواية قالون ورواية ورش من طريق الأزرق وكلهم مدنيّون، تمسّكاً بقراءة أهل المدينة وأخذوا بمذهب الإمام مالك في الفقه. وشجّع على الأخذ برواية قالون سهولتها في خلوها من المدود الطويلة والإمالات الكثيرة⁽¹⁾، وتميّزها بالخلف وتعدّد الأوجه مثل صلة الميم وترك الصلة وقصر وتوسط المنفصل وتسهيل الهمزات مع الإدخال وعدمه وغير ذلك، وانتشرت في ليبيا، وتونس وما جاورها كتشاد وغيرها، والتسهيل موجود في رواية ورش أكثر قال ابن عاشور: سئل مالكا عن التّبر في القرآن فقال: إني لأكرهه وما يعجبني ذلك، ويعنون بالتّبر إظهار الهمزة في كلّ موضع على الأصل، فكره ذلك

(1) جامع المنافع في قراءة الإمام نافع الشيخ محمد الرابع بن يونس بن الحسن بن الساباوي، تحقيق نجاني زبير محمد الرابع (أبه) ط1 1431هـ / 2010م، ص34.

واستحبّ التسهيل على رواية ورش لما جاء من أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن لغته الهمز أي إظهار الهمز بل كان ينطق بها مسهلة في مثل: ياجوج وماجوج من ياجوج ومأجوج، وذيب في ذئب، ومومن في مؤمن⁽¹⁾ ونحوها.

4/ انتشرت قراءة الإمام نافع من رواية ورش بصفة أوسع؛ وذلك لمجاورة المغرب الإسلامي لمصر وتعتبر الأخيرة طريق هجرة المغاربة إلى المشرق ولسهولة التنقل بينهما، ومعلوم أن رواية ورش انتقلت إلى مصر بعد وفاة الإمام نافع وتوطدت بها يضاف إلى ذلك أن عثمان بن سعيد الملقب بورش هو نفسه من أصول أفريقية من القيروان⁽²⁾.

5/ تشجيع السلطات الحاكمة في المغرب على الأخذ بقراءة الإمام نافع المدني ومذهب الإمام مالك في الفقه وميلهم إلى الاستقلال عن المشرق في وحدتهم السياسية والمذهبية والفكرية⁽³⁾.

المبحث الأول:

تعريف الإمام نافع وسند قراءته وتعريف راوييه

• المطلب الأول: تعريف الإمام نافع وسند قراءته⁽⁴⁾

هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، وكنيته أبو رويم وقيل أبوالحسن وقيل أبو عبد الرحمن والأولى هي الأشهر، مولى (جَعُونَه) وهو في الأصل الرجل القصير، ثم سُمّي به الرجل

(1) التحرير والتنوير محمد طاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس: 62/1.

(2) تاريخ القراء العشرة ورواتهم وتواتر قراءاتهم ومنهج كل في القراءة، عبدالفتاح القاضي، مكتبة القاهرة، ص 12.

(3) قراءة الإمام نافع عند المغاربة عبدالحادي حميتو، من رواية ورش منشورات وزارة الأوقاف الإسلامية المغرب (1424هـ/2003م) 208/1.

(4) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن المزني ط1، (1400هـ) 281/29، والنشر لابن

الجزري: 112/1، ومعرفة القراء الكبار للذهبي: 92. 90 /1.

وإن لم يكن قصيراً، وكان جعونه حليف حمزة بن عبدالمطلب، وقيل حليف العباس بن عبدالمطلب.

ونافع أحد القراء السبعة، كان أسود اللون شديد السواد، وأصله من أصبهان، وكان حسن الخلق وسيم الوجه، وفيه دعاية، تلقى القراءة عن سبعين من التابعين منهم أبو جعفر وشيبة بن نصاح ومسلم بن جندب ويزيد بن رومان، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري، وقرأ أبو جعفر على مولاه عبدالله بن عياش بن ربيعة المخزومي، وعلى عبدالله بن عباس وعلى أبي هريرة وقرأ هؤلاء الثلاثة على أبي بن كعب، وقرأ أبو هريرة، وابن عباس أيضاً على زيد بن ثابت. وقرأ زيد وأبي على رسول الله ﷺ.

وقراءة نافع متواترة وليس أدلّ على تواترها من أنه تلقّاها عن سبعين من التابعين، وكان نافعاً إمام الناس في القراءة بالمدينة، انتهت إليه رئاسة الإقراء بها، وأجمع الناس على قراءته واختياره بعد التابعين.

تصدّى للإقراء والتعليم أكثر من سبعين سنة قال سعيد بن منصور: سمعت مالكا يقول قراءة أهل المدينة سنة، أي مختارة، فقليل له: قراءة نافع؟ قال: نعم⁽¹⁾. وروى عنه أنه إذا تكلم يشتمّ منه رائحة المسك، فقليل له أتطيب كلما قعدت تقرئ الناس؟ فقال: إني لا أقرب طيباً ولا أمسه؛ ولكن رأيت فيما يرى النائم أنّ النبي ﷺ يقرأ في فيّ فمن ذلك الوقت يشتم من فمي هذه الرائحة. قيل لما حضرته الوفاة قال له أبنائه أوصنا قال: اتّقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين.

كان مولده سنة (70هـ)، وتوفي سنة (169هـ)⁽²⁾.

المطلب الثاني: تعريف راويه قالون وورش:

(1) تقدم هذا الأثر.

(2) انظر: تاريخ القراء العشرة ورواتهم، ص 10.

الراوي الأوّل:

قالون: وهو عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى بن عبد الصمد بن عمر بن عبد الله الزرقى مولى بني زهرة، يكنى أبا موسى ويلقب بقالون، وهو قارئ المدينة ونحوها، يقال أنه ربيب نافع - ابن زوجته - وقد لازم نافعاً كثيراً وهو الذي لقبه بقالون لجودة قراءته فإن قالون بلغه الروم تعني جيّد، ولد قالون سنة (120هـ) في أيام هشام بن عبد الملك، وقرأ على الإمام نافع سنة (150هـ) قيل كم قرأت على نافع؟ قال لا أحصيه كثرة إلا أنّي جالسته بعد الفراغ عشرين سنة وقال: قال لي نافع كم تقرأ عليّ! اجلس إلى اسطوانة حتى أرسل لك من يقرأ عليك. أخذ عن نافع القراءة التي تلقّاها من أبي جعفر والقراءة التي اختارها نافع وروى القراءة عنه خلق كثيرون.

كان قالون أصمّ شديد الصّم، وإذا قرأ عليه قارئ سمعه وقيل كان يقرئ القراء ويفهم خطأهم بالشفاهة⁽¹⁾.

الراوي الثاني ورش:

هو عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو بن سليمان بن إبراهيم مولى لآل الزبير بن العوام. وكنيته أبو سعيد ولقبه ورش. ولد سنة (110هـ) (يقفط) بلدة في صعيد مصر وأصله من القيروان رحل إلى الإمام نافع في المدينة وعرض عليه القرآن عدّة ختمات سنة (155هـ)، وكان أشقر أزرق العينين أبيض اللون قصيراً، وكان إلى السّمنة أقرب منه إلى النّحافة. قيل أن شيخه نافعاً هو الذي لقبه بورش أو الورشان (بفتح الواو والراء طائر يشبه الحمامة) وكان نافع يقول هات يا ورشان، اقرأ يا ورشان، أين الورشان؟ ثم خفف فقبل ورش. وقيل الورش

(1) غاية النهاية لابن الجزري: 1/615، والأعلام للزركلي: 5/297، ومعجم حفاظ القرآن، محمد سالم محيسن، دار الجيل بيروت، لبنان: 1/496.

شيء يصنع من اللبن لقبه به لبياضه. ولزم ورش هذا اللقب حتى صار لا يعرف إلا به، ولم يكن شيء أحب إليه منه فيقول: أستاذي سَمَّاني به. انتهت إليه رئاسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه، مع براعته في العربية ومعرفته بالتجويد، وكان حسن الصوت جيد القراءة لا يملّه سامعه توفّق ورش بمصر في أيام المأمون سنة (197هـ)⁽¹⁾.

المبحث الثاني:

تعريف الإمام أبي عبدالله محمد بن آجروم

وتعريف نظمه البارع ومنهجه فيه وقيّمته العلميّة

المطلب الأوّل: تعريف الإمام أبي عبدالله محمد بن آجروم:

هو أبو عبدالله محمد بن محمد بن داوود الصنّهاجي القّاسي النّحوي الفقيه المقرئ المالكي الأستاذ الشهير بابن آجروم، وتعنى عند البربر الفقير الصّوفي⁽²⁾، وتقوم مقام السيّد بالعربيّة، ولد بصنّهاجة بفاس عام (672هـ) ودرس بها وكان في بداياته مؤدّب الأطفال بفاس اشتهر بمعرفة النّحو من خلال مقدّمته الآجرومية التي بلغت شهرتها الآفاق مشرقاً ومغرباً، وقد ألفها تجاه الكعبة المشرفة، قيل أنه عندما فرغ منها ألقى بها في البحر، وقال: إنّ كان هذا النظم خالصاً لله لم يبتل، وقد كان كذلك. غير أنّه قد برع في علوم أخرى غير النّحو، وألف كتباً بديعة في القراءات⁽³⁾.

شيوخه ومنهم:

1. محمد بن يوسف بن حيّان النّحوي الغرناطي صاحب البحر المحيط في

التفسير.

(1) غاية النهاية: 502/1، والأعلام: 266/4، وانظر: تاريخ القراء العشرة وروائعهم، ص12.

(2) دائرة المعارف الإسلامية القرن العشرين، محمد فريد وجدي، دارالمعرفة، بيروت، ط3، (1971م)، 1/79 آجر.

(3) جامع المنافع على قراءة الإمام نافع الشيخ محمد الرابع بن يونس بن السايوي، ص34، ص34.

2. أبو عبد الله الإمام محمد بن القصاب.
3. أبو القاسم محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الطيب القيسي.
4. أبو مروان عبد الملك بن موسى.

تلاميذه:

- في مقدمتهم أبنائه.
1. أبنه عبد الله بن محمد أبو محمد وهو الذي يكنى به.
 2. أبنه محمد بن محمد أبو المكارم الملقب بمنديل وكنيته أبو عبد الله.
 3. أبو عبد الله محمد بن عمر اللخمي.
 4. القاضي أبو عبد الله الحضرمي
 5. الشيخ أحمد بن محمد بن شعيب أبو العباس الجزنائي وغيرهم.

مؤلفاته:

1. المقدمة الآجرومية في علم النحو (1).
2. فرائد المعاني في شرح حرز الأمانى ووجه التّهاني شرح فيها الشّاطبية لأبي القاسم الشّاطبي.
3. التبصير في نظم التيسير.
4. روض المنافع ويظهر من عنوانه مؤلف في قراءة الإمام نافع.
5. أرجوزة في ألفات الوصل .

(1) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق، علي محمد عمر، مكتبة الخانجي ،

ط1، (1426هـ / 2005م)، 1/225.

6. أرجوزته البارع في مقرا الإمام نافع وهي التي تناولتها هذ الدراسة وقد

أشار ابنه محمد الملقب بمنديل إلى مضامين كتبه فقال:

نحن الأولى فرّعوا للمجد ذروته* وفي ظلال تلاع العزّ قد نزلوا
إن كان ذو نهل للعلم أو علل* فعن أبي كان منه التّهل والعلل
بسيويّه سبينا كلّ فائدة* في صنعة النّحو لا الكراس والجمال
وعند مسائل إيضاح لنا وضحت* من التّصرف شمس بيتها الحمل
وعند حرز الأماي شاهد فطن* إذا حرزت بحمانا تلکم السبل
وكم لنا في عروض الشّعر من نکت* يدري بذلك عنا الرّدف والعلل⁽¹⁾

وفاته:

توفي رحمه الله في يوم الأحد بعد الزوال لعشر بقين من صفر عام ثلاثة وعشرين
وسبعمائه من الهجرة النبوية(723هـ) ، ودفن من الغد بعد صلاة الظهر بباب الجيزيين
المعروف بباب الحمراء عن يمين باب الفتوح بمدينة فاس⁽²⁾.

المطلب الثاني: تعريف نظمه البارع ومنهجه فيه وقيّمته العلميّة:

عرف هذا النظم ب(البارع في مقرا الإمام نافع أو في قراءة الإمام نافع) تتبّع فيه ما
خالف فيه ورش قالون معتمداً في ذلك طريق الإمام الدّاني⁽³⁾ في التّيسير مع أنه قدّم ورشاً
على قالون ولم يلتزم ما في التّيسير وما مشى عليه الشاطبي⁽⁴⁾ في حرز الأماي.

(1) تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، محمد مختار ولد أبّا، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ص446.

(2) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي منشورات، محمد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان(1419هـ/1998م)، 218/6، وبغية الوعاة: 225/1.

(3) الدّاني هو: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر الأموي المعروف بابن الصيرفي أبوعمر الداني قارئ الأندلس صاحب المصنفات الكثيرة النافعة في القراءات والرسم والضبط والتفسير ولد سنة(371هـ) وتوفي سنة (444هـ) بدانه وخرج في جنازته خلق كثير، معرفة القراء الكبار للذهبي: 325/1.

وقد نظم ابن أجروم رجزه البارع في سنة (696هـ) في رمضان كما أشار لذلك

بقوله:

أكملتها في رمضان الأعظم* عشرين منه ذي المعاد الأكرم

سنة ست معها ستمائة* تمت تسعين بخير منبئة

ويعتبر هذا النظم باكورة إنتاجه العلمي فقد نظمته في الرابعة والعشرين من عمره، إذا حسبنا أنه ولد سنة (672هـ) وفرغ من نظمته هذا سنة (696هـ).

وهو يعتبر أول نظم في قراءة الإمام نافع من رواية قالون وورش كما يشير بعض الباحثين⁽¹⁾.

وعدد أبيات هذا النظم مائة وخمسة وعشرون بيتاً قال صاحبه:

أبياتها تضعيفك الستينا* وخمسة بها تكن أمينا

أما منهجه في النظم فقد قسمه إلى قسمين كعادة أهل النظم في علم القراءات قسم للأصول وقسم للفرش.

تناول في قسم الأصول أبواب الأصول على الترتيب المعروف بدأ بالاستعاذة ثم البسملة وميم الجمع وهاء الكتابة، والمد، والقصر إلى أن ختم بياءات الإضافة وياءات الزوائد.

(4) الشاطبي القاسم بن فيره أبي القاسم بن خلف بن أحمد أبو محمد الرعيني الأندلسي المعروف بالشاطبي المالكي المقرئ النحوي، توفي بمصر سنة (590هـ) من مصنفاته حرز الأمان المعروف بالشاطبية، وعقيله اتراب القصائد، غاية النهاية: 20/2.

(1) ينظر البارع في مقرأ الإمام نافع. محمد صالح المنتوسي مدارسه في المنهج مركز أبي عمرو الداني للدراسات والبحوث القرآنية منشور بتاريخ 23/ أبريل 2020م

وتناول في باب الفرش الخلاف الفرشي بين الروائين في أبيات قليلة من هذا النظم، وطريقته في ذكر الخلاف أنه إذا اتفق الراويان يذكر القراءة من غير تسمية كقوله:

عَوِّذْ بَمَا فِي النَحْلِ عِنْدَ الْإِبْتِدَا * جَهْرًا وَإِنْ نَزَهْتَ كُنْتَ مَرشدا
ونافع يرضه وصل إن لم يره *

وإن اختلف الراويان ذكر أحدهما وأهمل الآخر لتفهم قراءته من الضدِّ، وإن كان الوجه يحتاج إلى توضيح كزيادة وجه أو قراءة بخلف وضَّح ذلك بذكر الراويين كما في قوله:

بسمَلْ عِيسَى عِنْدَ وَصْلِ السُّور *

وقبل همز القطع ورش وصلا * والخلف عند عيسى بتحريك جلا
افتتح الناظم هذا النظم بقوله:

يقول مَنْ عَفُو الْإِلَهِ رَاجِي * - وعونه محمد الصنهاجي
الله أحمد الذي هدانا * وَمَنْ أَنْ عَلِمْنَا الْقُرْآنَا
وخصنا بأكرم البرينة * محمد وخاتم النبوة

وختم بقوله:

فالحمد لله العظيم الطول * أهل الثنا وهو أهل الفضل
وبعد صلى الله ربي سرمدًا * على النبي الهاشمي محمدا

أما القيمة العلمية لهذا النظم فهو لا يقل شهرة عن المقدمة الأجرومية لصاحب هذا النظم، التي نافست ألفية ابن مالك في النحو، واشتهرت شهرة لا يخلو منها بيت طالب علم في العلوم العربية والإسلامية، ونظم البارع بارع كاسمه وهو النظم الذي تأثر به أهل النثر

والنظم في قراءة الإمام نافع فقد تأثر به ابن بري وجاء بنظمه الدرر على طريقته، وقد وجد نظم البارع صدّى واسعاً وكتب له الشّيوخ والدّيوغ في حياة الناظم وبعد مماته⁽¹⁾.

وقد أشاعه تلاميذه من بعده وأول من أشاعه من تلاميذه وأخذ عنه بسنده إلى الناظم الشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر اللّخمي، ولم أطلع على شرح لهذا النّظم إلا دراسة حديثة بعنوان: نظم البارع في قراءة الإمام نافع دراسة وتحقيق للدكتور عبد الفتاح الفريسي، دار السّلام للطباعة والنّشر والتّوزيع: 2020/4/30م.

ووجدت منشوراً على النّت تسجيل صوتي لهذا النّظم بصوت الشّيخ كمال المروش. واستنتج من كون هذا النظم لم يحظ بشرح أو دراسة مبكرة أن الأمر يعود لسببين: **الأوّل:** أن الناس قد عرفوا ابن آجروم بأنه عالم في النّحو من خلال مقدمته الأجرومية التي حظيت بكثير من الشّروحات، وأهتم الناس بها وأهملوا مؤلفاته الأخرى في القراءات وعلوم القرآن، ولم تعط القدر الكافي من الاهتمام.

الثاني: أن نظم الدرر اللوامع لابن بري جاء بعد نظم البارع بسنة واحدة الأوّل فرغ من نظمته سنة (696هـ) كما تقدّم والأخير فرغ من نظمته سنة (697هـ)، والنّظامان متشابهان في كثير من الأوجه: أنهما في قراءة نافع من رواية ورش وقالون من طريق الإمام أبوعمر الداني، وتقديم ورش على قالون في النظمين، ومتشابهان في بحر الرجز - فقد وجد النظم الأخير من الاهتمام ما ألهم الناس عن الأوّل.

(1) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت: 215/11، والأعلام للزكلي: 33/1، وينظر د.

محمد صالح المنتوسي، دراسة في المنهج منشور أبريل 2020م.

المبحث الثالث

تعريف الإمام أبي الحسن بن بري ونظمه الدرر اللوامع

في أصل مقرر الإمام نافع ومنهجه فيه وقيّمته العلميّة

المطلب الأوّل: تعريف الإمام أبي الحسن علي بن بري:

هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد بن الحسين الرباطي⁽¹⁾، المشهور بابن بري وصفه المارغني⁽²⁾ في التّجويد الطّوابع على الدّرر اللّوامع بالإمام الفاضل العالم الكامل القارئ المحقّق والمقرئ المدقّق ذي العلوم الرائعة والمصنّفات الفائقة، ولد ابن بري بتازة بلدة بالمغرب الأقصى سنة (660هـ) ودرس بها على كبار شيوخها.

وقد ولى في عهد بني مرين كتابة الخلافة بالمغرب، وكان قبل ذلك شاهداً عدلاً ببلده تازة، يقال إنّ أحد تلاميذه كان عدلاً بتازة فولى قضاءها فصعب عليه أن يكون قاضياً وشيخه أبو الحسن بن بري شاهداً يأتيه لأداء الشهادة فتسبّب له في كتابة الخلافة⁽³⁾.

شيوخه:

من شيوخه الذين درس عليهم:

1. والده محمد بن علي بن محمد بن الحسين؛ فقد جاء في وصفه في المصادر بالشيخ الفاضل وهو لقب لا يطلق إلا على العلماء.
2. مالك المرحل أبو الحكم السبّتي العالم الأديب توفى سنة (699هـ).

(1) نسبة إلى الرباط عاصمة المغرب.

(2) إبراهيم المارغني بكسر الراء وسكون العين نسبة إلى قبيلة بساحل حامد من أعمال ليبيا، ولد بتونس سنة (1281هـ) صاحب دليل الحيران على مورد الظكّان في الرسم، توفى سنة 1329هـ.

(3) ينظر على الدرر اللوامع، ص5، ومعجم المؤلفين لرضي كحالة: 41/1.

3. أبو الربيع سليمان بن حمدون الشريشي، وهو شيخ سنده في قراءة نافع من

رواية قالون وورش، ذكر ذلك هو في هذا النظم حيث قال:

حسبما قرأت بالجميع* عن سليمان بن حمدون أبي الربيع

المقرئ المحقق الفصيح* ذي السند المقدم الصحيح⁽¹⁾.

4. أبوبكر القاضي محمد بن محمد بن إدريس الفلوسي الشاعر توفي سنة

(707هـ).

5. أبوجعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي توفي سنة (730هـ).

تلاميذه:

منهم عمرو بن أحمد الميمون القشتالي، وابن العشاب التازي، وأبي عبدالله محمد بن

شعيب المجاصي وغيرهم.

مؤلفاته وجهوده العلمية:

منها:

1. اختصار شرح الإيضاح لابن الربيع الإشبيلي السبتي في النحو.

2. شرح وثائق إبراهيم الغرناطي.

3. شرح التهذيب في اختصار المدونة لأبي سعيد خلف بن أبوالقاسم البراذعي

الفقيه المالكي.

4. شرح العروض لمحمد علي الأنصاري المعروف بابن السقاط⁽²⁾.

5. أرجوزة الدرر اللوامع في أصل مقرئ الإمام نافع.

(1) انظر: النجوم اللوامع، ص43.

(2) النجوم الطوالع: ص360.

6. الكافي في العروض والقوافي (1).

7. شرح قصيدة الفرائض لأبي الحسن بن عطية الأوربي. وكان نظمه للدرر اللوامع سنة 697هـ) وتوفي رحمه الله سنة (731هـ) بتازه ودفن بها وقيل بفاس والأول أصح (2).

المطلب الثاني: تعريف نظمه الدرر اللوامع في مقرا الإمام نافع ومنهج فيه وقيمته العلمية:

يعتبر نظم الدرر اللوامع من أجل مؤلفات ابن بري في قراءة الإمام نافع التي أخذ بها أهل المغرب. قال صاحب النجوم الطوالع: (3) فمن أجل ما ألف فيها من المختصرات التي أغنت عن كثير من المطولات: أرجوزة الإمام الفاضل ابن بري المسماه (الدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع)، فقد ضمّنها قراءة نافع من روايتي قالون وورش، وبين الخلاف بينهما في الأصول والفرش (4).

وقد شرحها عدد من العلماء الأجلاء نذكر منهم:

1/ أبوعبدالله محمد بن محمد بن إبراهيم الحارّاز توفي سنة (718هـ)، وهو أول من شرحها في حياة ناظمها وعرضها عليه، وسمى شرحه المقصد النافع لبغية الناشئ والبارع في شرح الدرر اللوامع.

2/ شرحها الثعالبي عبدالرحمن بن مخلوف الجزائري توفي سنة (875هـ) صاحب الجواهر الحسان في التفسير وسمى شرحه المختار من الجوامع في محازاة الدرر اللوامع وهو مطبوع.

(1) معجم المؤلفين لرضا كحالة: 220/7.

(2) دائرة المعارف الإسلامية: 2/1.

(3) النجوم الطوالع، ص6.

(4) الأصل هو الحكم الكلي المطرد مثل المد والقصر والإظهار والإدغام والإمالة وتركها، والفرش هو الحكم غير المطرد وهو الخلاف في آيات السور القرآنية.

3/ شرحها الكرامي أبوزكريا الجزولي السملالي توفي سنة (900هـ) وسماه تحصيل المنافع من كتاب الدرر اللوامع وهو مطبوع.

4/ شرحها أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المنتوري توفي سنة (834هـ) صاحب الفهرسة وسماه شرح الدرر اللوامع وهو مطبوع حققه الصديقي سيد فوزي.

5/ شرحها إبراهيم المارغني صاحب دليل الحيران على مورد الظمان توفي سنة (1329هـ) وسمى شرحه النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقر الإمام نافع⁽¹⁾.

وجهود العلماء في هذا النظم شرحاً وتحقيقاً ودراسة وتديساً كثيرة ومستمرة.

أما منهج النّاطم فيه فقد قسم النّظم إلى قسمين كعادة من سبقه في علم القراءات: قسم للأصول وقسم للفرش، تناول في القسم الأول أبواب الأصول مثل الاستعاذة والبسملة وهاء الكناية والمد والقصر إلى آخر أبواب الأصول المعروفة، ثم تناول في القسم الثاني الفرش وهو الخلاف بين قالون وورش في سور القرآن. سمي القسم الأول بالاحكام المطردة والثاني بالمنفردة قال رحمه الله في النظم⁽²⁾:

وجئت فيه بالذي يطرّد* ثم فرشت بعد ما ينفرد

طريقته في الإحالة أنه يبيّن في الغائب ما بين قالون وورش من الاختلاف عن نافع والائتلاف بأن يسند الحكم لورش وحده فيعلم أن قالون يخالفه مثل: "أبدل ورش كل لام سكنت" ونحوه.

أو يسند الحكم لقالون فيفهم أن ورشاً روى خلافه كقوله: واقصر لقالون يؤده معاً: ونحوه.

(1) النجوم الطوامع، ص 360.

(2) النجوم الطوامع على الدرر اللوامع، ص 37 و 38.

أو يسند الحكم إليهما مختلفين كقوله:

وزاد عيسى الطّاء والضّاد معاً* وورش الادغام فيهما وعى

أو يسند الحكم إليهما متّفقين كقوله:

اتفقا بعد عن الإمام في * سين (سئي سيئت)

بالإشمام ونحوه. أو يسند الحكم لنافع فيفهم أن الراويين اتفقا كقوله: فنافع يقصر
يرضه... ونحوه.

أو يسند الحكم إلى جميع القراء كقوله:

وكلهم رققها إن سكنت *

ونحوه، وقد يطلق الحكم من غير تقييد وهو نادر قال: رحمه الله موضحاً هذه
الأوجه:

بيئت ما جاء من اختلاف* بينهما عنه وائتلاف

وربما أطلقت في الأحكام* ما اتفقا فيه عن الإمام

افتتح الناظم هذا الرجز بمقدمة في الحمد والثناء والصلاة والسلام على النبي ﷺ ، ثم
ذكر فيها فضل القرآن وعلومه، وذكر قراءة نافع ومكانتها وقارئها نافع وراوييه ثم تعرض
لاصطلاحاته في هذا الرجز بعد ذكر طريقه الذي سلكه في هذه القراءة، ثم رتب أبواب
الأصول تباعاً وألحقها بالفهرس وختم النظم بملحق في مخارج وصفات الحروف وعدد أبياتها
273 بيتاً في أغلب النسخ⁽¹⁾. ختمها بقوله:

ثم صلاة الله كل حين* على النبي المصطفى المكين⁽²⁾

وفي بعض النسخ زيادة ثلاثة أبيات بعد هذا البيت هي:

(1) النجوم الطوامع، ص 323.

(2) هذا ختام النظم دون الذيل الخاص بمخارج وصفات الحروف.

تم الكتاب الدرر اللوامع* في أصل مقر الإمام نافع

نظمه مبتغياً للأجر* عليّ المعروف بابن بري⁽¹⁾

سنة سبع بعد تسعين مضت* من بعد ستمائة قد انقضت

أما القيمة العلميّة لهذا النظم فتشهد بها هذه الشّروحات الكثيرة التي لم يحظ بها نظم مثله في قراءة نافع فقد تنافس العلماء فيه حفظاً وشرحاً، وأصبح هو النّظم الأوّل في قراءة نافع، وبلغ من الشّهرة والدّبوع ما بلغته المقدمة الآجرومية لابن آجروم الصّنهاجي في بلاد المغرب وشمال أفريقيا⁽²⁾.

الخاتمة

أولاً: التّنتائج: من أهم التّنتائج التي توصل إليها الباحث:

1/ إنّ أول القراءات التي دخلت بلاد المغرب وشمال أفريقيا هي قراءة ابن عامر الشامي ثم تلتها قراءة حمزة ثم قراءة نافع المدني.

2/ استقر المغاربة على قراءة نافع ومذهب مالك جمعاً بين قراءة إمام أهل المدينة، ومذهب إمام المدينة في الفقه.

3/ أهل المغرب الإسلامي متقدمون على غيرهم في خدمة ونشر قراءة الإمام نافع.

4/ نظم البارع في مقر الإمام نافع هو أوّل نظم في قراءة الإمام نافع، وهو سابق لنظم الدرر اللوامع.

(1) المرجع نفسه، ص 359.

(2) الاعلام للزركلي: 5/5 ودائرة المعارف الإسلامية: 96/1.

5/ نظم الدرر اللوامع أكثر نظم وجد شهرة واهتماماً عند أهل المغرب، ومنهم انتقل إلى غيرهم.

ثانياً: التوصيات:

- 1/ أوصي بجمع التراث القرآني المغربي من نثر ونظم ونشره لفائدة جميع الناس.
- 2/ الاهتمام بطباعة ومراجعة المخطوطات والشروح التي لم تجد حظها من الطباعة والنشر.
- 3/ أوصي بشرح نظم البارع في مقرأ نافع لابن آجروم فهو لا يقل أهمية عن مقدمته الآجرومية.